

اغلاط العرب

(تابع لما قبل)

وقال الآخر

ومن يتق فان الله معه وورزق الله مؤتاب وغاد

سكّن القاف من قوله يتق بعد حذف آخره للجزم قال صاحب الصحاح فادخل جزماً على جزم للضرورة . قال في لسان العرب وقال ابن سيده اراد يتق اي بكسر القاف فاجرى «تقف» من «يتق فان» مجرى علم فخفف كقولهم علم في علم . اه . ومعنى هذا ان الشاعر توهم انه لو اقتطعت التاء والقاف من «يتق» وضمت اليهما التاء من «فان» كان مجموع هذه الاحرف الثلاثة «تقف» وهو بوزن علم وقد جاء في بعض لغاتهم وهي لغة بكر بن وائل تسكين عين فعل المكسور فيقولون في علم علم فسكّن القاف من «يتق» لوقوعها من «تقف» موقع اللام من علم . فتأمل بعيشك هذا التمحّل الغريب وتصور في نفسك شاعراً قد جمع قريحته للنظم فينا هو يناجي طبعه ويطوف على اجنحة خياله يرتاد معنى من المعاني الفخيمة ويخير له من خزائن لفظه القالب اللائق لتمثيله اذا هو يتفقد مقاطع حروفه وهجاء كلماته ويقتطع شيئاً من هذه اللفظة وشيئاً من تلك فيركب منهما لفظاً لا معنى لها ثم يطوف بهذه اللفظة على قبائل العرب لينظر كيف ينطق بها في كل لغة من لغاتهم . لا جرم ان هذا لما لا يكاد يتفرغ له اصحاب الالغاز والمعميات من صيارفة اللفظ فضلاً عن الشاعر الجاهلي او المولد . وانت خير بان شعراء الجاهلية لم يكونوا

يلتفتون الى تقطيع الاجزاء الطبيعية في الشعر وقد لا يتوهمونها اصلاً فما
ظنك بتفصيل اجزاء الكلم هذا التفصيل الغريب وتلفيق بعض حروفها الى
بعض واين محل هذا التكاف الشاق من بداهة الشاعر واندفاع عارضته
في النظم . ويا عجباً لم لا نقول ان الشاعر اضطرَّ الى اسقاط حركة من بيته
فسكن هذا الحرف بحكم الضرورة كما قاله صاحب الصحاح وهو الوجه
المعقول الذي لا غبار عليه ولا تعسف فيه . ومثل هذا قولهم في قول الآخر

تقول ألا تمسك علي فاني ارى المال عند المالكين معبداً

قال في لسان العرب سكن آخر تمسك لانه توهم « سِكَع » من « تَمَسِكُ
علي » وهو بناء فيه ضمة بعد كسرة وذلك مستثقل فسكن كقول جرير

سيروا بني العم فالاهاوز منزلكم ونهر تيرى ولا تعرفكم العرب

انتهى كلامه . ويعني انه لو ضمت الكاف من « تَمَسِكُ » في البيت الاول

لاجتمع من السين والكاف مع عين « علي » لفظ سِكَع بضم الكاف

بعد السين المكسورة وكذا لو ضمت الفاء من « تعرفكم » في البيت الثاني

لجاء هناك لفظ « رِفْكُ » وفيه ايضاً ضمة بعد كسرة فلذا سكن الشاعر ان

آخر المضارع ولا ضرورة في البيتين . والظاهر انه ينبغي ان يحتمل على

هذا قول عمر بن ابي ربيعة

وقلت لها لو يسلك الناس وادياً وتنجين نحو الشرق عما تيموا

لكافني قلبي أتابعك اني بذكرالك اخري الدهر صب متيم

على ان هذا فيه زيادة على ذلك حذف الناصب قبل الفعل ولعل له وجهاً

آخر يخرجهُ عن الضرورة . لكن على فرض صحة ذلك كله فما العذر

في قول امرئ القيس

فاليوم أشرب غير مستحقب
 اثماً من الله ولا واغل
 فانه سكن الباء من اشرب من غير ان يجي هناك شيء على وزن عليم ولا
 ما يشبه « سِكَغ » ولا « رِفْكُ » . ومثله قول عدي بن زيد
 فهل لك ان تدارك ما لدينا ولا تغلب على الرأي المصيب
 سكن آخر تغلب وهو معطوف على تدارك المنصوب او مرفوع على
 الاستئناف . وبعد فاذا كان كل موضع في الكلام اتفق ان يتوالى فيه
 مثل حركات عليم او يقع فيه الضم بعد كسر يجوز فيه التسكين وان
 لم يكن ثم ضرورة لزم ان نطلق هذا الحكم في النظم والنثر على السواء
 وحينئذ يعرض لنا مثل قوله « انه من يتق وَيَصبر » فانه يُسْتَخْرَج
 منه لفظ « نَقَوَ » وهو ادعى الى الاسكان لمكان الواو بعد القاف . ومثله
 قوله انها لمن الغابرين . . فنتبع آياتك . . انفروا خفافاً وثقالاً . . الى الجنة
 والمغفرة . . وهو الذي انزل من السماء ماء . . والامثلة من ذلك كثيرة .
 وكذا قوله ونحن نسبح بحمدك وتقديس لك . . تعرفهم بسيماهم . . ومنها
 نخرجكم . . والله يريد بكم اليسر . . يجادلنا في قوم لوط . . ومن الناس
 من يعجبك قوله . . ويحذر الله نفسه . . الى غير ذلك مما لا يحصى
 ولا شك ان التسكين لا يجوز في شيء من ذلك ولا فيما يماثله في اي كلام
 وقع . وربما عكسوا فحركوا الساكن في غير حده كقول الآخر
 الأرب مولود وليس له أب وذي ولد لم يلد له أبوان
 اراد لم يلد له بكسر اللام وسكون الدال فاضطره الوزن فسكن اللام وحرك

الذال بالفتح او بالضم فصار كأنه من لَدِي يَلْدَى او من لدا يلدو . ونحوه
قول كعب بن مالك

لقد لقيت قُرَيْظَةَ ما سآها وحلّ بدارها ذلّ ذليلٌ

يريد سآها المهموز الآخر فجاء بالفعل على سآى مثال سعى على ان الخطب
في هذا اسهل لان حرف العلة والهمزة كثيراً ما يتعاوران . وقال الآخر

ألا لا برك الله في سهيلٍ اذا ما الله برك في الرجالِ

قال في لسان العرب انما اراد الله فقصر ضرورة . وقال الاعشى

كخلفةٍ من ابي رياحٍ يسمعا اللهم الكبارُ

الكبار بالضم والتخفيف بمعنى الكبير وقوله اللهم بضم الهاء وفتح الميم
ويروى اللهم بدون ال يريد اسم الجلالة تخفف الميم واستعمله فاعلاً

ليسمع ونعته بالكبار وكل ذلك غلط لان هذا الاسم لا يستعمل الا في
النداء ولا يجوز نعته نصّ على هذا الاخير سيبويه . ومنهم من روى لاهة

الكبار اي الهة واستدلوا بهذا على اشتقاق اسم الجلالة من لاه يليه اي
تستّر كما فسره في الصحاح وقال في لسان العرب وحكى بعضهم لاه الله

الخلق يلوهم خلقهم قال وذلك غير معروف . اهـ . وكلاهما ليس بشيء فان
الهمزة في اله من اصل الوضع كما يدل عليه هذا اللفظ في سائر اللغات

السامية وهو يدور فيها بين ايل وايليون والاه والوه والوهيم وانما حذفت
من لفظ الجلالة تخفيفاً كما هو المذهب المشهور . واصل معنى ايل القدرة

والسلطان ثم استعملوه بمعنى البطل القاهر ثم نقلوه الى معنى واجب الوجود
(ستأتي البقية)